(قراءة تأملية لواقع سعودي)

عبدالله بن عبدالعزيز... هذا المنت

بقلم المقدم الدكتور: عبدالله بن إبراهيم المنيف

«لا نميل إلى أن تتركز رسالتك حول زعيم وطني..» كانت هذه ملاحظة أستاذي الإدارة العامة والعلاقات الدولية بجامعة هاورد بالعاصمة الأمريكية واشنطن، التي وجهاها لي قبل شروعي في بحث رسالة درجة الدكتوراه.. كانت كلماتهما هذه بمثابة الدافع الجديد والمهم لأن أمضي قدماً لتحقيق رسالة الدكتوراه الأولى باسم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -أيده الله بنصره.

لم تكن إرادتي هذه تحدياً لرغبة البروفيسورين (جون ديفيس) و (ليزو موريس)، اللذين كنت ولا زلت أكنّ لهما وافر التقدير والاحترام...بل كانت إنصافاً لواقع لم يكن يعرفه حينها سواي.. واقع أعيه جيداً، كما يفعل السعوديون جميعاً.. فنظرة السعوديين لقيادتهم تختلف، من حيث المضمون والشكل، عن نظرة سواهم من الشعوب الأخرى.

وحتماً لا يدرك البعيدون عن الواقع السعودي -كبعض الغربيين أو غيرهم - خصوصية العلاقة الفريدة التي تربط السعوديين بقيادتهم.. العلاقة التي تزامن قيامها مع وضع اللبنات الأولى لهذا الكيان الكبير على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه- إذ قامت دعائم البناء الحضاري في هذه البلاد المباركة على أسس من القيم الخالدة، والمبادئ النبيلة، وتجلت بدايةً في صور التلاحم الوثيق ما بين الحاكم والمحكوم، وحرص واهتمام الراعي بأحوال رعيته أينما وجدوا.

برزت كل هذه الأفكار والذكريات إلى ذهني بعد تأملي في جولة الخير الكريمة التي قام ويقوم بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- حول عدد من مدن ومحافظات بلادنا العزيزة؛ والتي

ـــمي إلى مســـتقبلنا

تعكس جانباً من هذه القيم الخالدة، وجانباً أصيلاً من تكوين المجتمع المسلم على هذه الأرض الطيبة منذ تأسيس المملكة على يد المؤسس عبدالعزيز -حفظه الله- التي تقوم على مبادئ التكافل والتكامل والمسؤولية، إضافة إلى كونها ترجمة واقعية متكررة لاهتمام خادم الحرمين الشريفين بمواطنيه، وسعيه الدائم نحو تلمس حاجاتهم عن كثب، واللقاء بهم، والاطمئنان عليهم، والوصول إليهم أينما كانوا، وذلك في أجمل وأصدق صور المحبة والتراحم والتلاحم والتواد والولاء.

وما جولة ملك الإنسانية والخير متفقداً ومستمعاً وموجهاً، وتواصله مع إخوانه وأهله ومواطنيه، والاستماع إليهم بكلماتهم وأصواتهم؛ إلا شواهد حية، مشاهدة وقريبة، على سمو نهجه المتبع في علاقته بأبنائه المواطنين، إذ هو القريب منهم، الملامس لحاجاتهم، الملتصق بهمومهم..

«أقول بصدق وأمانة: إننا معكم نعايش أمانيكم وأحلامكم، فلم يبق لنا من أمل في شيء سوى خدمتكم والسهر على راحتكم وتفقد أحوالكم أينما كنت في هذه البلاد في المدينة والقرية والصحراء"... "أود أن أذكر لكم أن الدولة، منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، لا تفرق بين منطقة ومنطقة فكل ذرة من تراب الوطن غالية علينا، وكل مواطن في هذا الوطن ابن عزيز من أبنائنا"..

أجل.. فقراءة بسيطة لأقوال الملك عبدالله بن عبدالعزيز، كفيلة باستنباط دلالاتها العميقة، والمتضمنة -بوضوح شديد- اهتمامه البالغ بكل ما ينفع الوطن والمواطن.. إذ كان تلمس احتياجات المواطنين من أول اهتمامات الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- إبان ولايته للعهد، ليبدأ عهده الزاهر الميمون بمبادرات لتحسين الأوضاع المعيشية لمواطنيه، وتيسير سبل العيش والحياة الكريمة..

ولقد لاحظنا جميعنا المشاعر الوطنية التي تجسدت في احتفالات المواطنين بزياراته الميمونة، ومظاهر الفرحة والبهجة والفخر والاعتزاز التي عبروا عنها كافة، والتي هي ولاشك مناسبة غالية لتجديد البيعة والطاعة والولاء، وكذلك وهم يرون مدنهم ومحافظاتهم وقد مستها يد التطور والخير والنماء، وأخذت حظها الوافر من خطط التنمية والتحديث، وبثت في جنباتها حيوية العمل والتشييد والاستثمار والبناء، في نهضة حضارية تميزت بخصائص فريدة،

عبدالله بن عبدالعزيز... هذا المنتمي إلى مستقبلنا

أهمها الحفاظ على خصائص المواطن السعودي المميزة، ليظل مستمسكا بعقيدته، مرتبطاً بقيمه الإسلامية والعربية.

وفي واقع الأمر، إن إنجازاته -أيده الله- وعطاءاته المتواصلة، ومواقفه الإنسانية النبيلة هي من الكثرة والاتساع بحيث يتعذر تعدادها، وهي حقائق ملموسة ومحسوسة، ولن أتحدث عنها، فهي قائمة شامخة تتحدث عن نفسها، وأصبح أبناء هذه البلاد يتمتعون بكل خيرات وميزات الواقع المعاصر، وقد لا يتسع المجال للحديث بلغة الأرقام والإحصائيات التي تجسد اهتمام القيادة بكل ما يهم الوطن والمواطن.

إن لخادم الحرمين الشريفين أسلوباً مميزاً وفلسفة عميقة نستطع أن نراها خلال لقاءاته الكثيرة المتواصلة مع مواطنيه، أو بخطاباته وكلماته وأحاديثه لوسائل الإعلام المختلفة داخل المملكة وخارجها، وحياته مليئة بالمواقف الحكيمة، واللمحات الإنسانية، ومواقفه في هذا الشأن معروفة للجميع.. وهي غالباً ما تتردد في أحاديث المواطنين والمواطنات.. إلا أن مما يحز في نفوسنا جميعاً، افتقار المكتبات في الداخل والخارج لإصدارات تتناول الملك عبدالله، وإسهاماته الجليلة، إذ لم تستوف إلا القليل من المسيرة العطرة لملك الخير والإنسانية..

قال لي أكاديمي أمريكي بعد اطلاعه على ملخص بحث الرسالة: "أنت تنحاز إلى الملك عبدالله.. لأنك سعودي". فكان من الضروري أن أرد عليه بلسان غير سعودي، إذ استشهدت بشاهد من أهله!.. مستحضراً رأي المفكرة الأمريكية (ناتانا ديلونج باس)، الوارد في تعليقها على مبادرة خادم الحرمين الشريفين للسلام (مبادرة العرب الأهم من وجهة النظر الغربية)، حين قالت: "شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز وإيمانه ومكانته ومصداقيته.. هي التي أضفت- أكثر من أي شيء آخر- الأهمية الكبرى على مبادرته للسلام التي أصبحت مبادرة العرب أجمع... وحشدت التأييد الكبير لها".

هذا ولقد تشرفت ولله الحمد بكل فخر واعتزاز بتحقيق رسالة الدكتوراه الأولى باسم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله-، وذلك من جامعة هاورد الأمريكية بواشنطن، التي تناولت عدة محاور، منها: الجهود العظيمة التي يقوم بها ويبذلها -أيده الله- في دعم كل جهد يحقق الخير والازدهار والاستقرار والأمان والسلام للمنطقة ولجميع الأمم، وبالأخص جهوده الجلية في مجال مكافحة الإرهاب، ومبادرته للسلام التي أصبحت مبادرة العرب أجمع، كما تطرقت الرسالة إلى الانجازات التي حققها- سدد الله خطاه- لصالح الإسلام والمسلمين وحرصه على أمور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واهتمامه بشئونهم، كذلك الإنجازات العظيمة التي حققها لصالح وطنه وشعبه السعودي الوفي، إذ رأيت ضرورة تدوينها للتاريخ في هذه الدرجة العلمية، بهدف توثيق المنجزات التي تحققت لخادم الحرمين الشريفين بفضل الله ثم قيادته الحكيمة لمجريات الأمور، وجهوده في التوجه نحو الإصلاح والتحديث، وقدرته الفذة على الجمع ما بين تحقيق التطور والتقدم الحضاريين لوطننا العزيز، والحفاظ على تعاليم الدين الحنيف والثوابت القويمة التي أرساها الملك المؤسس عبدالعزيز -طيب الله ثراه-.

ولابد من الإشارة إلى أن إنجازات وكلمات خادم الحرمين الشريفين شكلت وتشكل مصدر إلهام للعديد من رجال الفكر والسياسة في كافة أنحاء العالم، وسيكون الشعب السعودي الوفي والأمتان الإسلامية والعربية والعالم أجمع مدينين لخادم الحرمين الشريفين بذلك، على أن كلمات وخطابات خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين التي تضمنتها الرسالة ساهمت في تعريف قارئها بالفكر الديني والسياسي والاجتماعي للملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين.